اتجاهات تحليل الخطاب التفسيري عند المحدثين

1- محتوي المقياس

01 – مفاهيم أساسية عرض وتفصيل (الخطاب، التفسيري، الاتجاه، المنهج، الحداثة)

02 – الاتجاه الفني:

- مفهومه، نشأته، تجلياته عند القدامى والمحدثين
- سيد قطب أنموذجا

03 – الاتجاه البلاغي:

- مفهومه، نشأته، تجلياته عند القدامى والمحدثين
- عائشة بنت الشاطئ أنموذجا
- فاضل السامرائي أنموذجا

04 – الاتجاه الموضوعي البنيوي

- مفهومه، نشأته، تجلياته عند القدامى والمحدثين
- محمود البستاني أنموذجا

05 – الاتجاه التكاملي

- مفهومه، نشأته، تجلياته عند القدامى والمحدثين
- الطاهر بن عاشور أنموذجا

06 – الاتجاه الاجتماعي:

- مفهومه، نشأته، تجلياته عند القدامى والمحدثين
- الشيخ مُحَمَّد رشيد رضا أنموذجا
- السيد مُحَمَّد حسين فضل الله أنموذجا

07 – الاتجاه الألسني:

- مفهومه، نشأته، تجلياته عند القدامى والمحدثين

- مُحَمَّد أركون أنموذجا

08 – الاتجاه التأويلي

- مفهومه، نشأته، تجلياته عند القدامى والمحدثين
- مُحَمَّد شحرور أنموذجا

2– أهم مصادره المعتمدة

01- تحليل الخطاب التفسيري عند المحدثين منطلقاته واتجاهاته، د. حميد قاسم هجر المفضل.

02- أساسيات المنهج والخطاب في درس القرآن وتفسيره، مُحَمَّد مصطفوي.

03 – اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، أ.د. فهد الرومي.

04 – في قراءة النص الديني، عبد المجيد الشرفي، كمال عمران آخرون.

05- الفكر الاسلامي، مُحَمَّد أركون.

06- أثر القرآن في تطوير النقد العربي، د. مُحَمَّد زغلول سلام.

3– المادة العلمية المتضمنة فيه بإيجاز تماشيا مع متطلبات هذه المرحلة الاستثنائية

مقدمة:

الحمد لله الذي أنزل القرآن بلسان عربي مبين، والصلاة والسلام على أفصح العرب مُحَمَّد بن عبد الله وعلى آله وصحابته أجمعين، أمّا بعد:

إن القرآن الكريم باعتبار قدسية نصه، يعدّ مجالا خصبا للبحث والتنقيب وفي ظل الانفتاح الفكري للعالم بسبب التطور التكنولوجي ووسائل الاتصال المتنوعة، وتعرّف الشعوب على تواريخ وحضارات وأديان بعضها البعض، نشأ حوار فكري يتغذى بين الشعوب باختلاف أديانهم وعقائدهم وأفكارهم ومللهم ونحلهم، مسّ جوانب الحياة المختلفة من سياسة واقتصاد وعلم اجتماع .. وهذا الحوار الفكري لم يكتفي بهذا القدر بل وصل إلى المساس بالدين فمسّ بقوّة المرجع الأساسي للدّين وهو القرآن الكريم ومنه نشأ حوار ديني فانفتح بذلك الكلام في القرآن الكريم على العالم كله، فتكلم في القرآن من يعرفونه أيّ المحافظون ونجسدهم في سيد قطب، فاضل السامرائي، عائشة بنت الشاطئ، محمود البستاني، الطاهر بن عاشور، الشيخ مُحَمَّد رشيد رضا، السيد محمّد حسين فضل الله ... الخ، وتكلم فيه من

يريدون التعرف عليه من أمثال مُحَمَّد أركون ومُحَمَّد شحرور، ونجد أنّ هؤلاء كلامهم في القرآن غير مؤسس على ثقافة قرآنية وإنّما تتحكم فيه مدارسهم الفلسفية ومذاهبهم الفكرية، وهذا ما أنتج جملة من مناهج وأساليب الكلام في القرآن الكريم التي نختصرها في الخطابات التفسيرية التي تسعى إلى تفسير القرآن الكريم من منطلقات معينة وهذا ما نتعرف عليه في جملة ما نقدمه في هذا المقياس، من خلال التعرف على الاتجاهات التحليلية الحديثة للخطاب التفسيري، وهذه الاتجاهات الحديثة تجسدها صورتين للتجديد في التفسير قائمتين على:

1. **العودة للقديم:** أي طرف من القديم وطرف من الجديد والمزج بينهما باستعمال أدوات تجديدية مناسبة، والتجديد عند هذه الفئة فيه محاولة إعادة الحياة للأمة ونفخ الحركة فيها من جديد، تحقيقا لقوله ﷺ " أنّ الله يبعث بين حين وآخر من يجدد للمسلمين أمر دينهم"[1]، بهذا يعرّف " التجديد من الناحية السياسية على أنّه تقويم الانحراف واحياء الأصول فهما واجتهادا بولاية في مواجهة الموافق المستجدة والمستحدثة"[2]، وهذا المذهب يتجلى في التمسك بالأثر ونبذ الخرافات والإسرائيليات، إلّا أنّ التحول التجديدي لا بدّ أن يتجه نحو إعمال العقل والاستفادة من العلوم التجريبية الصحيحة، وذلك بعدم معارضة القرآن لطريق العقل المدبّر والعلوم التجريبية الصحيحة.

2. **الانتقال للجديد ونفي ما سبق:** بمعنى القضاء على القديم بوسائل جديدة، وهي تنكر القديم بشتى صوره وأشكاله، وهذا المعنى للتجديد لا يتماشى مع مفهومه بالنسبة للفكر الإسلامي، ويقول الكتاني في هذا المفهوم: "التجديد يمثل حالة نفسية تقع على العقل لإعطائه المرونة في احلال الأوضاع الجديدة محل الأوضاع القديمة، أو تعديل القديم ليتفق مع الجديد"[3].

وبالنظر الى ما تمّ ذكره من اتجاهات تفسيرية حديثة والتي تعرّفنا عليها في التطبيقات مع الشيء من الشرح والتدوين في المحاضرات سنركز القول فيما هو آت على نموذجين اثنين من نماذج التفاسير الحديثة، الأول (الاتجاه الفني) لسيد قطب نجسد من خلاله جملة المفسرين الحديثين الذين كان تجديدهم في ظل احترام ثقافة القرآن الكريم، وبمراعاة أصول التفسير وضوابطه التي تعتبر الأصل في قبول الاتجاه الحديث أو رفضه من جهة، و(الاتجاه التأويلي) لمحمد شحرور والذي يجسد فئة المفسرين الحديثين الذين بنوا تفاسيرهم على ثقافات الغرب وفلسفتهم دون مراعاة لثقافة القرآن الكريم وأصول تفسيره وضوابطه، وقبل ذلك لابدّ من الوقوف على جملة من المفاهيم الأساسية في هذا المقياس وهي:

_ 1

_ 2

_ 3

❖ **المفاهيم الأساسية**

01. مفهوم الخطاب التفسيري:

1- مفهوم الخطاب:

أ. لغة: الخطاب هو سبب الشيء، قال الجوهري: "خطب من الخطب سبب الأمر، تقول ما خطبك، وخطبت على المنبر خطبة بالضم، وخاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا، وخطبة المرأة خِطبة بالكسر، واختطب أيضا فيهما، والخطيب: الخاطب"[1].

ب. اصطلاحا:

هو سلسلة من الملفوظات التي يمكن تحليلها باعتبارها وحدات أعلى من الجملة، تكون خاضعة لنظام يضبط العلاقات السياقية والنصية بين الجمل[2]، والخطاب نسق من العلامات الدالة الخاصة بالأفراد أو المجموعات أو حتى الموضوعات، وكل نسق من الأنساق الخطابية له سمات خلافية تميزه عن غيره من الأنساق وهذه السمات هي التي يقوم بضبطها المختص في تحليل الخطاب، ومن هذه السمات يمكن تصنيف الخطابات إلى الخطاب العربي أو الخطاب الفلسفي أو غير ذلك من البنيات الخطابية اللامتناهية[3].

2- مفهوم التفسير

أ. لغة: الكشف والتوضيح حيث عرّفه: ابن فارس (ت 395هـ) في مقاييس اللغة : " الفاء والسين والراء كلمة واحدة تدل على بيان شيء وإيضاحه " [4]، والأزهري في تهذيب اللغة: " التفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل " [5]، وابن منظور في لسان العرب: " الفسر كشف المغطّى، والتفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل " [6].

ب. اصطلاحا: هو بيان معاني القرآن الكريم فعرّفه: ابن جزي (ت 741 هـ) بقوله : " معنى التفسير شرح القرآن وبيان معناه، والإفصاح بما يقتضيه بنصه أو إشارته أو فحواه " [7]، وأبو حيان الأندلسي بقوله : "التفسير علم يبحث

_ 1
_ 2
_ 3
_ 4
_ 5
_ 6
_ 7

يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب وتتمات لذلك "[1].

3- الخطاب التفسيري:

وبالجمع بين مفهومي الخطاب والتفسير يمكننا القول أنّ الخطاب التفسيري هو: كلام الله الذي يتوصل به لبيان معناه ومقتضى نصه أو إشارته من خلال تحليله باعتباره وحدات أعلى من الجملة، خاضعة لنظام يضبط العلاقات السياقية والنصية بين الجمل.

02. الاتجاه والمنهج والفرق بينهما

1. تعريف المنهج:

أ- لغة: هو الطريق الواضح البيّن، عرّفه ابن منظور: " نهج: طريق نهج: بين واضح، وهو النهج"[2]، وعرّفه الزبيدي فقال: نهج: النَّهْج بفتح فسكون، الطَّريقُ الواضِحُ البَيِّنُ، وهو النَّهَج، محرَّكةً أَيضاً، والجمع نَهْجَاتٌ، ونُهُجٌ، ونُهُوجٌ[3]. ونُهُوجٌ[3].

ب- اصطلاحا: المنهج في أبسط تعاريفه هو: "طريقة يصل بها إنسان إلى حقيقة"[4]، أو "إجراء يستخدم في بلوغ غاية محددة"[5]، أو "إنه الترتيب الصائب للعمليات العقلية التي نقوم بها بصدد الكشف عن الحقيقة ، والبرهنة عليها"[6].

وبالنظر إلى مجال التفسير، فيمكن القول إن منهج التفسير، عبارة عن الطريقة التي نصل من خلالها إلى كشف المعاني المكنونة في النص القرآني، أو هو الإجراء الذي نستخدمه للتوصل إلى الكشف عن معاني الآيات القرآنية[7].

2. تعريف الاتجاه:

_1
_2
_3
_4
_5
_6
_7

أ– لغة: اتجاه (مفرد): ج اتجاهات، مصدر اتجه إلى، وهو بمعنى الطريق والسبيل.[1].

ب– اصطلاحا: هو مجموع الأفكار والنظرات والمباحث في عمل فكري ما تكوّن الاتجاه وتكون عادة غالبة على ما سواه يحكمها اطار نظري أو فكرة كلية تعكس ثقافة صاحب الاتجاه[2]، أمّا الاتجاه التفسيري فهو مجموعة الآراء والأفكار، والنظرات، والمباحث، التي تشيع في التفسير بصورة أوضح من غيرها، وتكون غالبة على ما سواها، ويحكمها إطار نظري، أو فكرة كلية، تعكس بصدق مصدر الثقافة التي تأثر بها صاحب التفسير، ولوّنت تفسيره بلونها وبعبارة موجزة: هو مجموعة من المبادئ والأفكار المعدة التي يربطها إطار نظري، وتهدف إلى غاية بعينها [3]، وهو وهو الهدف الذي يتجه إليه المفسرون في تفاسيرهم، ويجعلونه نصب أعينهم وهم يكتبون ما يكتبون[4].

3. الفرق بينهما:

من جملة ما تقدم ذكره يمكننا القول أنّ المنهج هو الوعاء الذي يحتوي أفكار الاتجاه بأجمعها[5]، والاتجاه أخف وطئة من المنهج، وعلى هذا الأساس اخترنا دراسة الاتجاهات التفسيرية بدل المناهج التفسيرية، لأنّه لا يوجد تفسير قرآني قد اعتمد منهجا نقديا بحذافيره في التفسير، وعليه يعدُّ اعتماد الاتجاه أدق وأخصّ من المنهج.

03. الحداثة:

أ– لغة: يعود اشتقاق لفظ الحداثة إلى الجذر اللغوي لمادة (محدث)، تأتي لفظة الحديث نقيضا لما هو قديم، والحديث: بمعنى الخير، ويجمع على أحاديث على غير قياس، والحدوث: بمعنى الوقوع هو حدوث شيء بعد أن لم يكن، ومحدثات الأمور : هي ما لم يكن معروفا في كتاب ولا سنة ولا إجماع[6].

ب– اصطلاحا: يمكننا تعريفها عند العرب والغرب فنختار من جملة تعريفات العرب تعريف ناصيف نصار فيرى الحداثة على أنها " المفهوم الدال على التجديد والنشاط الإبداعي، فحيث نجد إبداعا نجد عملا حداثيا، ومن هذا المعنى فإن الحداثة ظاهرة تاريخية إنسانية عامة نجدها في مختلف الثقافات، وتتحدّد الحداثة بعلاقتها التناقضية مع ما يسمى بالتقليد أو التراث أو الماضي، فالحداثة هي حالة خروج من التقاليد وحالة تجديد[7].

_ 1
_ 2
_ 3
_ 4
_ 5
_ 6
_ 7

أمّا عند الغرب: فنختار مفهوم الحداثة عند فريدريك نيتشه (Friedrich Nietzche) كما ينقل عنه" إن الحداثة اليوم توجد على صورة رغبة في مسح كل شيء وصل من الماضي، على أمل أن تجد في النهاية لحظة تعتبرها الحاضر الحقيقي أو نقطة الأصل، التي تنطلق منها من جديد، فتجمع الحداثة عند الغربيين على أمرين: الثورة على الماضي وتمجيد العقل[1].

❖ **الاتجاه الفني لسيد قطب:**

01. مفهوم الاتجاه الفني: يتمحور حول

أ. تعريف الاتجاه: سبق ذكره.

ب. تعريف الفن:

لغة: الفن: واحد الفنون، وهي الأنواع، والفن هو الحال والضرب من الشيء، والجمع أفنان وفنون، يقال: رعينا فنون النبات، وأصبنا فنون الأموال؛ وأنشد:

قد لبست الدهر من أفنانه --- كل فن ناعم منه حبر[2]

اصطلاحا:

إنّ الفن في عموم معناه يشير إلى المهارة التي يحقق بها المرء مراده ومقصده بتمعن وتدبر وفي هذا الصدد يرى الدكتور عبد العزيز عتيق أنّ النّاس كما يتحدثون عن الفنون الجميلة، يتحدثون كذلك عن فن الزراعة، وفن التجارة، وفن الحياكة، وفن الطبخ، وفن الإعلام، وغير ذلك من فنون شتى.

ومع اختلاف ما تضاف إليه كلمة (فن) ، فإن لها معنى أساسيا واحدا[3] هو (الحذق)، أو (المهارة) التي يبلغ بها المرء مقصده بعد تدبر وتمعن"[4]، ثم هي بعد ذلك لها معنيان: عام وخاص، فكلمة "الفن"، بمعناها العام تشمل أي عمل أو مجموعة من الأعمال الإنسانية المنظمة التي ترمي إلى هدف معين، وتدل على شيء من الحذق والمهارة،

_ 1

_ 2

_ 3

_ 4

وعلى هذا يندرج تحت المعنى العام لكلمة الفن، جميع الحرف والصناعات أيا كانت، أما معناها الخاص فيعني كل عمل راق يهدف الى ابتكار ما هو جميل من الصور والأصوات والحركات والأقوال .

ومنه الفن بهذا المفهوم الخاص مقصور على الأعمال الإنسانية المنظمة الراقية التي تقوم على العلم، والغرض المنشود هنا هو ابتكار أشياء تنعت بالجمال، لما تحدثه في النفس من لذة وسرور، ومن هذه المبتكرات كل الأعمال والآثار الفنية التي تتمخض عنها قرائح الفنانين ، وتعد من الفنون الجميلة ... [1].

ج. **تعريف الفن الأدبي**: الأدب لون من ألوان الفنون، بل هو أهم ألوان الفنون على الإطلاق، وتتجلى مهارة الفنان وحذقه، عندما ينتج من الكلمات معرضا للصور الفنية، ويدع عاطفته المتحفزة، وإحساسه المرهف يعملان في هذا المعرض، ويفسح المجال لخياله أن يجوب الآفاق الجميلة، وهو عند سيد قطب: جودة العرض، وحسن السبك، وجمال الأسلوب، وقوة العاطفة، ونشاط الخيال، وعندما ألف سيد قطب كتاب (التصوير الفني في القرآن) كان معنى (الفن) واضحا في ذهنه وتعبيره، ولذلك لم ير بأسا من إثبات (الفن) في أسلوب القرآن تعبيرا وعرضا[2].

والاتجاه النقدي الفني عموما كما يعرّفه: حميد قاسم هجر المفضل " عملية تحليل وتفسير العمل الأدبي أو الابداعي وغايته جعل المتلقي يرى هذا العمل رؤية صحيحة وسليمة على وفق الأسس الفنية ومن ثم حصول الاستمتاع له ويعتبر كذلك على أنّه محاولة للإفصاح عما يتضمنه العمل الفني من خبرة جمالية لا تستطيع العين العادية إدراكها.

02. الاتجاه الفني عند القدامى

لقد كانت للدارسين الأوائل نظرات جمالية في غاية الجودة وقد ظهرت جلية وواضحة من خلال كتب الاعجاز والبلاغة والنقد واللغة عند علماءنا الكبار من القدماء مثل الجرجاني والباقلاني وغيرهم، حيث بلغوا بالدراسات القرآنية في جوانبها البلاغية والجمالية شأنا عظيما وكبيرا[3].

تجلى الاتجاه الفني عند القدامى مثلا بالإشارة لمفهوم الوحدة النسقية فقد قاموا باستجلاء هذه السمة ودراساتها في علمين من علوم القرآن حيث جعلوها وجها من أوجه الإعجاز وهذان العلمان هما علم المناسبات[4] الذي عني بأوجه الارتباط بين الآي والسور، والثاني علم مقاصد السور الذي ابتدعه برهان الدين البقاعي، وبفضله تنبه بعض المفسرين

_ 1

_ 2

_ 3

_ 4

لا سيما المعاصرون منهم انّ لكل سورة غرضا محوريا تدور عليه جميع آياتها ويمكن أن تكون هذه الدراسة شبيهة بما أطلق عليها بالوحدة الموضوعية للسور القرآنية إلّا أنّ اسم الوحدة النسقية كما يرى البحث هو الأصلح في ذلك لأنّ الوحدة الموضوعية تطلق دائما على وحدة الموضوع ضمن النص إلّا أنّ السور القرآنية لم تقتصر في عرضها على موضوع واحد وإنّما هناك موضوعات متعددة وربما تكون مختلفة تتجه جميعها باتجاه هدف عام وبشكل منسجم ومتناسق دون تفكك أو تنافر[1].

03. الاتجاه الفني عند المحدثين –سيد قطب أنموذجا–:

أ– التعريف بسيد قطب:

هو سيد بن قطب بن ابراهيم بن حسين شاذلي، ولد عام ١٩٠٩ م في قرية موشا جنوب مدينة أسيوط حيث نشأ في أسرة ميسورة الحال[2]، متميزة عن بقية أسر القرية[3]، كان والده رجلا متدينا مرموقا بين سكان القرية يهتم بزراعة أراضيه ويعطف على الفقراء ويبر بهم مما اضطره على ما يبدو الى أن يبيع قسما كبيرا من أطيانه[4]، كما كان هذا الوالد مستنيرا بعض الشيء ، وكان عضوا في لجنة الحزب الوطني ومشتركا في جريدته اليومية[5].

وكانت والدته من أسرة مماثلة أو أعرق وقد وقع لها ما وقع لأسرة الوالد حرفا بحرف ... ولكن زاد عليها أن اثنين من أخواله كانا قد أوفدا إلى الأزهر في القاهرة شأن غالبية الأسر الريفية الثرية، فأنشأ هذا في الأسرة نوعا من الرقي العلمي بجانب الوجاهة الريفية[6].

ولقد كان أثر القرية وما تحتويه على سيد قطب واضحا جليا، فالمناظر الطبيعية الفاتنة من منظر المياه التي تغطي الأرض الى منظر الأرض المعدة للنبات الى منظر العمال الذين يبذرون الحبوب في الأرض ويعملون بجد ونشاط الى منظر الدور المتشابهة في الارتفاع والبناء الى منظر الأشجار المثمرة المختلفة الأشكال والالوان ... إلى غير ذلك من المناظر، كل ذلك ترك أثرا كبيرا في نفسه، فاذا كانت عيناه تقع على تلك المناظر وغيرها فلا شك في الحصول على رصيد ضخم من الجمال في مخيلته ... كل ذلك وغيره قد أثر في حسه وساعد في بناء شخصيته وشعوره المرهف، ومن ثم نشأته في أسرة متدينة قد غرس في نفسه أيضا الشيء الكثير وغرس في قلبه ونفسه المبادئ الإيمانية السليمة

---

1 _

2 _

3 _

4 _

5 _

6 _

من حفظ القرآن الكريم إلى المحافظة على الصلاة في المساجد، ومحبة المساكين والعطف على الفقراء ومساعدة المحتاجين[1]، فيقول في أحد كتبه: " وكل وضع اجتماعي يكون من نتائجه شل قوى الأمة عن العمل والانتاج، فتعويقها بهذا عن النمو والتقدم ... هو وضع شاذ لا يفقد فقط حقه في البقاء بل يصبح بالفعل غير قادر على البقاء، فكيف اذا اجتمع الى هذه الآفة أنه يهدر الكرامة الانسانية ويفسد الخلق والضمير ، ويقضي على كل معاني العدالة ويقتل الثقة الضرورية في المجتمع والدولة وينشر القلق ويذهب بالاطمئنان"[2]، وتوفي يوم الاثنين الموافق لـ 29_08_1966م[3].

ب– دراسة في كتابيه (في ظلال القرآن، التصوير الفني في القرآن الكريم):

التذوق الفني ما هو إلا إدراك جمالي يتم فيه نفاذ العيان إلى باطنية الموضوع[4]، والاتجاه الفني في محتواه هو الكشف عن بعض قوانين الجمال التي يتحرك في ضوئها النص وإماطة اللثام عن أشياء وأشكال جديدة لم تكن متاحة الرؤية للإنسان العادي في العمل الفني، والقران وهو كتاب مقدس لم يغفل هذا الجانب الجمالي في طياته وتتجلى هذه الجمالية في تلقيه وفي طريقة قراءته ومحاولة إدراك كنه المطابقة بين الدال والمدلول عن طريق كشف القوانين التي تنتظمه في بناه الدلالية والصوتية والصرفية والتركيبية وقد تعددت قراءات القرآن بين متلقيه منذ ظهوره والى اليوم، وممن دلوا بدلوهم في هذا المجال وخاضوا غماره سيد قطب الذي وفّق إلى حد ما في كشف هذه الحقائق الجمالية والفنية في النص القرآني، حيث أنّه حاول أن يسلك مسالك القدماء وإن كان قد تخطاها ووصل إلى نتائج وأمور ربما غابت عن السابقين[5].

فهو أخذ يسائل ويحاور النص قصد الوصول إلى جمالياته المتوارية خلف بنيته اللغوية، وهو يتتبع مواطن الجمال فيه و يتحسس كل لمسه أو لمحه تحيل هذه الدلائل إلى قوالب جميلة يقدمها لقرائه في ثوب إبداعي محاولا إثارتهم وتنبيه مداركهم ومشاعرهم للجمال المتخفي في التعابير القرآنية ويبدو أثر الواقع الأدبي والفني الحديث واضحا في عناية سيد قطب بلغة النص القرآني ودراسة أسلوبه وإبراز الجانب التعبيري والبلاغي للألفاظ والتراكيب اللغوية، حيث أنّه ركز على جوانب فنية وجمالية لم يتنبه لها أو لم يركز عليها الأوائل عند تفسيره للقرآن الكريم، من ذلك تركيزه على الصور والمشاهد ورسم الشخصيات وتحسين المواقف والظلال والحركة والتكرار والتناسق بين المدلولات والتعابير والاهتمام الكبير بدراسة الإيقاع، وتحليل بنى الألفاظ والكشف عن العلائق فيما بينها، وإن التركيز على هذه الجوانب الجمالية

_ 1

_ 2

_ 3

_ 4

_ 5

والأسلوبية في دراسة النص القرآني يعد من أبرز سمات النزعة الأدبية والفنية عند سيد قطب من خلال تعامله مع النص، وإن الاهتمام بهذه المحاور (اللغة والإيقاع والصورة والبنية(هي من أساسيات ومقومات الدراسة الفنية في تعاطيها مع النصوص الإبداعية فالمعالجة الفنيه تتركز في اجراءاتها على دراسة اللغه بكل تفاصيلها، البناء اللغوي للنص ألفاظ و تراكيب...[1] ونشير هنا إلى أنّه ليس من الضروري أن تكون المعالجة الفنية شاملة كل هذه الدراسات، فلربما اقتصر باحث في دراسته على عنصر واحد أو عنصرين ولم يشمل بالضرورة كل القضايا التي ورد ذكرها في دراسة اللغة أو الصورة أو الموسيقى أو البناء بل يحدد ذلك لدى الباحث اقتضاء المقام، وتأكيد لهذه النزعة عند سيد قطب وتعامله مع النصوص القرآنية برؤية جمالية وأدبية فنية نرى أنه قد أختار أسماء كتبه التي تناولت دراسة النصوص القرآنية بأسماء ذات لمحة فنية إيحائية: في ظلال القرآن، التصوير الفني، مشاهد القيامة في القرآن فهو يعلم ماذا تعني هذه المفردات(الظلال، التصوير، المشاهد) في قاموس العمل الأدبي.

كما أنّ سيد قطب وبحسه الأدبي قد امتاز بتوسعه في دائرة الإعجاز اللغوي للقرآن الكريم والذي كان يدور قبل ذلك حول موضوعات ومحاور قد استهلكت ودرست مرارا وتكرار، كالتشبيه والكناية والاستعارة والمجاز وغيرها من الدراسات البلاغية، فتجاوز هذا الحاجز وانطلق إلى مساحات أرحب وأوسع من ذلك وهو الخروج بالنص القرآني إلى رحاب **الدراسات الفنية والجمالية والأسلوبية الحديثة**، كذلك يلاحظ أن سيد قطب قد تمكن من ابراز وإظهار بعض الخصائص التركيبية والدلالية للخطاب القرآني التي قد فات الأقدمون التعامل معها بالدقة نفسها والعمق التي تعامل معها، ويمكن لنا رؤية ذلك من خلال الدراسة التالية المتضمنة كتابيه (في ظلال القران) و(التصوير الفني في القرآن)[2].

01- الوحدة النسقية في القرآن: هي: " وحدة النسق في الصورة القرآنية وتماسك تراكيبها واتساق معانيها "[3]، وذلك باعتبار أنّ لكل سورة شخصيتها الخاصة بها ولها ملامحها ومحاورها، وطريقة عرضها لموضوعها الرئيسي، والمؤثرات الموجبة المصاحبة للغرض والصور والظلال والجو الذي يظلها، والعبارات الخاصة التي تتكرر فيها[4].

فيبدأ سيد قطب تفسيره للسورة القرآنية بمقدمة محاولا عرض موضوعاتها باتجاهاتها المتعددة، مسلطا الضوء على الحالة أو المحور الذي تدور حوله السورة مع الحرص قبل البدء بتفسير السورة على إدراك الوحدة الموضوعية فيها، ومعرفة شخصيتها المتفردة، والوقوف على موضوعها الرئيسي[5]، ويمكن تحديد معالم الوحدة الموضوعية عنده بما يأتي:

_ 1
_ 2
_ 3
_ 4
_ 5

1. المحور: وهو بمثابة الخيط الذي يربط الآيات بعضها ببعض والذي تدور عليه آيات السورة وموضوعاتها[1]، وهو يشكل هدفا ومقصدا للسورة.

2. **الأفكار الثانوية**: وهي عبارة عن أفكار متضمنة في السورة لا ترق لمستوى الأفكار المحورية التي غالبا ما تكون المهيمنة على جو السورة، هي عبارة عن لقطات أو مشاهد من الصور.

3. العناصر: وهي بمثابة الحامل لكل جزيئات السورة ومتضمنة أساسيات المعاني فيها، ففي سورة النمل يقول المفسر: والتركز في هذه السورة على العلم، علم الله المطلق بالظاهر والباطن، وعلمه بالغيب خاصة، وآياته الكونية التي يكشفها للناس، والعلم الذي وهبه لداود وسليمان وتعليم سليمان منطق الطير وتنويهه بهذا العلم ..ومن ثم يجيء في مقدمة السورة، { وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيم} [النمل: 6] ويجيء في التعقيب، {قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُون} [النمل: 65]، {وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ (74) وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِين} [النمل: 74، 75]، ويجيء في الختام: {سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا} [النمل: 93].

وفي مقدمة سورة النساء يقول: "إن لكل سورة من القرآن شخصيتها الخاصة ... ومن مقتضيات الشخصية الخاصة أن تتجمع الموضوعات في كل سورة، وتتناسق حول محورها في نظام خاص بها، تبرز فيها ملامحها وتتميز به شخصيتها، كالكائن الحي المميز السمات والملامح، وهو مع هذا واحد من جنسه على العموم"، وهذا ما عرف عند الشكلانيين ومن ثم البنيويين من أن النص بنية مستقلة مكتفية بذاتها وتتحرك في ضوء قوانينها الداخلية وأن دلالته جاءت من طريقة خاصة[2]، وبهذا نلاحظ الربط المنهجي لسيد قطب بين القديم والجديد بطريقة قائمة أساسا على احترام ميزان ضوابط الشرع.

وفي سورة آل عمران يبدأ بتمهيد عن السورة ثم يأتي إلى المحور الرئيسي الذي تدور حوله آيات السورة إلى أن يأتي إلى الآية الأخيرة {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُون} [آل عمران: 200][3]، فيقول تأكيدا للمسار والمنهج الذي اختطه، "وهو ختام يناسب محور السورة الأصيل، وموضوعاتها الرئيسية، ويتسق معها كل الاتساق"[4].

_ 1

_ 2

_ 3

_ 4

ومنه فإنّ إعجاز القرآن يتمثل أساسا في طريقة تأليفه ونظمه وذلك ما أصطلح عليه بالتصور النسقي للسور القرآنية لأننا لو قلنا أن إعجاز القرآن يرجع إلى لغته وبلاغته فإنّه لن يكون معجزا إلا لمن تكلم باللغة نفسها دون سواها، أمّا إذا قلنا أنμ النص القرآني معجز بطريقة تأليفه وتناسقه بين الموضوعات والأفكار فأنّه معجز لكل البشر باختلاف ألسنتهم على أساس أن الإعجاز قد وقع في طريقة التأليف والانسجام والتناسق، وهذا يعني أن الدلالات والأفكار وترتيبها وتناسقها على وفق محور معين ليس خارجا عن البناء الفني وإنّما هو في صلبه[1].

02- تناسق الصورة في القرآن الكريم: لسيد قطب رؤية خاصة في تناسق الصورة وهو يراه تناسق في التصوير في النص القرآني ويلاحظ من خلال ما يلي:

1. وحدة الرسم: وهي أن تكون أجزاء الصورة مؤتلفة مع بعضها من غير تنافر، وتوزيع أجزاء الصورة على الرقعة بنسب معينه حتى لا يزحم بعضها بعضا ولا تفقد تناسقها في مجموعها

2. الألوان: حيث أنّ اللون الذي ترسم به الصورة، والتدرج في الظلال، بما يحقق الجو العام المتسق مع الفكرة والموضوع، ومثال هذه الرؤية عنده قوله في سورة الفلق: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (1) مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ (2) وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (3) وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (4) وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ (5) }،فبعد أن يأخذ السورة بشكل إجمالي ويسلط الأضواء على مفرداتها ومعانيها **يأتي إلى محتويات المشهد من ناحية التناسق الصوري فيها فيقول:** وهي من ناحية (الفلق) و(الغاسق) مشهدان من مشاهد الطبيعة ومن ناحية (النفاثات في العقد) و(حاسد اذا حسد) مخلوقان آدميان، وهي من ناحية (الفلق) و(الغاسق) مشهدان متقابلان في الزمان، ومن ناحية: (النفاثات) و (الحاسد) جنسان متقابلان في الإنسان، وهذه الأجزاء موزعة على الرقعة توزيعا متناسقا، متقابلة في اللوحة ذلك التقابل الدقيق، وكلها ذات لون واحد، فهي أشياء غامضة مرهوبة، يلفها الغموض والظلام، والجو العام قائم على أساس هذه الوحدة في الأجزاء والألوان[2].

3- التعبير بالصورة والمشهد: عني سيد قطب بإبراز طريقة القرآن الكريم في التعبير والتي تتمثل أساسا في التصوير "فهو يعبر بالصورة المحسة المتخلية عن المعنى الذهني والحالة النفسية والمشهد المنظور[3]، ومثال قوله في تفسير الآية: { إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا} [النساء: 97]، فالخطاب القرآني هنا "يعبر في صورة، ويصور في مشهد حي نابض بالحركة والحوار ... إن القرآن يعالج نفوسا بشرية، ويهدف إلى استجاشة عناصر الخير

_ 1

_ 2

_ 3

والمروءة والعزة فيها، والى مطاردة عوامل الضعف والشح والحرص والنقلة، لذلك يرسم هذا المشهد، أنه يصور حقيقة ولكنه يستخدم هذه الحقيقة في موضعها أحسن استخدام في علاج النفس البشرية، ومشهد الاحتضار بذاته مشهد ترتجف له النفس البشرية، وتتحفز لقصور ما فيه وإظهار الملائكة في المشهد يزيد النفس ارتجافا وتحفزا وحساسية"[1].

04- التخييل الحسي: التخييل أو الخيال: هو القدرة على تكوين صور ذهنية لأشياء غابت عن متناول الحس فالخيال مصدر الصورة أما التجسيم فهو نوع من الصور وعليه يكون التجسيم مؤسس على الخيال وليس مرادف له، لذلك يعد التخييل الحسي والتجسيم عند سيد قطب من القواعد الأساسية التي يقوم عليها التصوير الفني في القرآن الكريم[2]، حيث أن صور القرآن جاءت في اغلبها مقترنة بالحركة "التي يسير عليها التصوير في القرآن لبث الحياة في شتى الصور، مع اختلاف السياق والألوان"، وقد تحدث سيد قطب عن آلية التصوير وأدواتها الإجرائية في النص القرآني من خلال التخييل الحسي والتجسيم، فالتخييل الحسي له آلياته وألوانه ومن هذه الألوان: التشخيص، توقع الحركة الثانية، الحركة المتخيلة التي يشنها التعبير ومثل لها بقوله تعالى: { وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا} [الفرقان: 23]، فأن "صورة الهباء المنثور، التي هي صورة حسية لإضاعة الأعمال" في حين تجد أن كلمة (قدمنا) تخيل للحس حركة القدوم التي سبقت نثر العمل كالهباء، وإن هذا التخيل يكون وقعه ضعيفا بكل تأكيد لو قيل (وجعلنا عملهم هباء منثورا) حيث كانت تنفرد حركة النثر وصورة الهباء، دون الحركة التي تسبقها حركة القدوم.

خامسا: التعامل مع الألفاظ والإيقاع

يقف سيد قطب مطولا عند جرس الحروف والكلمات والتأمل في إيقاعها وإيحائها ومدلوها وكذلك النظر في الحركات الإعرابية من ضم وفتح وكسر وسكون وأثر هذه الحركات في المشاعر والأحاسيس، حتى انه يرى صعوبة ترجمة هذا الإيقاع في نفسه بالألفاظ والتعبيرات فيقول: "ان إيقاع هذا القران المباشر في حسي محال أن أترجمه في ألفاظي وتعبيراتي ومن ثم أحس دائما بالفجوة الهائلة بين ما استشعره منه وما أترجمه للناس في هذا الظلال"[3]، وهذا هو ما يطلق عليه الأدباء الصلة بين القيم الشعورية والقيم التعبيرية في العمل الأدبي، وهذه الصلة قد عبر عنها سيد قطب فقال: "إن الانفعال بالتجربة الشعورية يسبق التعبير عنها ...وفي بعض الحالات يكون هذا الانفعال من التوهج والحرارة والإشراق بحيث يغمر إحساس الأديب ويجعله في شبه نشوة أو في نصف غيبوبة، وأغلب ما تصيب هذه الحالة الشعراء ... وقد يتم الشاعر عمله في هذه الحالات الفذة، ثم يراجعه فيعجب لنفسه كيف واتته القدرة على صوغ هذه العبارات، وقد يقف أمام بعضها معجبا متعجبا كما لو كان يشهدها أول مرة لأنه لم يتنبه لها كل

_ 1

_ 2

_ 3

التنبيه في أول مره ... وقد عانيت بنفسي حالات من هذا النوع كثيرة وأنا أكتب التصوير الفني في القرآن وكذلك وأنا اكتب في ظلال القران في بعض الأحيان"[1]، فمن ذلك لفظة كبكبوا من قوله تعالى: { فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ} [الشعراء: 94]، التي استوقفته بحروفها وحركاتها وتأمل فيها فقال: "وإنا لنكاد نسمع من جرس اللفظ صوت تدفعهم وتكفئهم وتساقطهم بلا عناية ولا نظام، وصوت الكركبة الناشئ من الكبكبة كما ينهار الجرف فتتبعه الحروف، فهو لفظ مصور بجرسه لمعناه"[2]، فهو يرى اكتمال الصورة وتجليها من خلال جرس اللفظ.

سادسا: القصة القرآنية عند سيد قطب

تحتل القصة في القرآن الكريم مكانة مهمة ومتميزة عند دارسي القرآن الكريم بوصفها جانب من جوانب الإعجاز سواء باستعمال اللغة وتوظيفها أم بالأخبار عن المغيبات وإظهار الحقائق التي طواها الزمن[3]، وبذلك فقد حظيت القصة بنصيب وافر من اهتمام سيد قطب و عدّها درسا واعتبارا ووسيلة لتحقيق الغاية[4]، وكانت وقفته أمامها وقفة بيانية جمالية تحليلية إذ قام بتحليلها تحليلا فنيا صوريا قد ألم بكل تفاصيلها في كتابه التصوير الفني في القرآن وقد أفرد لها فصلا كاملا تحدث فيه عن أغراض القصة في القرآن ومن ثم يبين مظاهر التنسيق الفني في القصة، وبعد ذلك عن الخصائص الفنية للقصة...[5] ويضرب سيد قطب لذلك قصة موسى إذا أنّها أشد القصص في القرآن تكررا، فهذه القصة قد ذكرت في القرآن ثلاثين مرة فكيف جاءت في مواضعها، ويرى أنها سارت وفق مراحل عديدة منها:

1. في سورة الأعلى جاءت إشارة قصيرة: { إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى (18) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى} [الأعلى: 18، 19]، وإشارة قريبة كذلك في سورة النجم: { أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى} [النجم: 36].
2. في سورة الفجر إشارة إلى فرعون بدون ذكر موسى مع عاد وثمود: { وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (10) الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (11) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (12) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ} [الفجر: 10 - 13]، وهناك إشارة قريبة منها في سورة البروج: { هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُود} [البروج: 17].
3. وفي سورة الأعراف بدأ التفصيل الأول للقصة في معرض قصص مشترك مع نوح وهود ولوط وشعيب، اتحدت فيه صيغة الدعوة وصيغة التكذيب والعقاب الذي أخذ المكذبين.
4. بعد ذلك ترد إشارتان احداهما في سورة الفرقان والثانية في سورة مريم.

_ 1
_ 2
_ 3
_ 4
_ 5

5. وفي سورة طه يبدأ بتفصيل آخر، يبدأ من حلقة أسبق من حلقة الرسالة التي ذكرت في (الأعراف) من رؤية موسى للنار من جانب الطور.

6. وفي سورة الشعراء تبدأ القصة من حلقة الرسالة وتسير بالخطوات نفسها ولكنها تزيد هنا أمرين :الأول ذكر موسى أنه قتل رجلا، والثاني ذكر انفلاق البحر كالطود العظيم....

ومن جملة كل ما تقدم ذكره يمكننا القول أنّ سيد قطب قد تمكن وبشكل واضح من التعامل مع النص القراني على وفق آليات المنهج الفني ويمكن ملاحظة آليات أخرى تحسب ضمن هذا المنهج قد أغفلناها لكفاية ما ذكرناه من ملامح واضحة تبرز آليات هذا الاتجاه عند سيد قطب.

❖ الاتجاه التأويلي عند مُحَمَّد شحرور

يحمل النص القرآني دلالات كثيرة : ووجوها للتأويل متعددة بحيث أصبح متشظي الدلالات، متسع المعنى، مفتوحا لطرق الاستنباط والتأويل المرتبطين بطبيعة النص القرآني من حيث بنيته وأنظمته ورؤاه ومستودعه الإنساني والمعرفي، نتيجة لذلك نرى بعض المعاصرين قد انبرى لتقديم قراءات جديدة للنص القرآني، تحمل في طياتها أفاق التعامل مع هذا النص مستفيدة مما قدمه العلم الحديث من طروحات ومناهج جديدة والثورة المعلوماتية الهائلة[1]، ومن هؤلاء مُحَمَّد شحرور.

01- التعريف بمحمد شحرور: (11 أفريل 1938م – 21 ديسمبر 2019م) مهندس وباحث ومفكر سوري، وأحد أساتذة الهندسة المدنية في جامعة دمشق ومؤلف ومنظر لما أُطلِق عليه "القراءة المعاصرة للقرآن، بدأ شحرور كتاباته عن القرآن والإسلام بعد عودته من موسكو واتهمه البعض باعتناقه للفكر الماركسي بسبب قضاءه فترة شبابه في الاتحاد السوفيتي، وفي سنة 1990 أصدر كتابه (الكتاب والقرآن) الذي حاول فيه تطبيق بعض الأساليب اللغوية الجديدة في محاولة لإيجاد تفسير جديد للقرآن[2].

02. الاتجاه التأويلي عند مُحَمَّد شحرور: يراه ما تنتهي إليه الآية (أي ما تؤول إليه) من قانون عقلي نظري أو حقيقة موضوعية مباشرة وهو على شكلين:

أ. تحويل بعض الآيات إلى بصائر حية أي (مطابقة مباشرة مع الحقيقة الموضوعية) وهذا أقوى أنواع التأويل، أي التأويل الحسي وعملية التحويل هذه تدعى الإبصار وهو التأويل الحقيقي والنهائي بعينه، أي تحويل الآية من علم

[1] _

[2] _

إخباري إلى علم نظري يدعمه العلم الحسي في ما بعد، أو تحويل الآية مباشرة إلى علم حسي ...فتأويل الآية هو مطابقتها مع الحقيقة الموضوعية وابصارها إي مطابقتها مع العقل واستنتاج قانون مجرد قابل للإبصار فيما بعد.

ب. استنتاج واستقرار لنظريات فلسفية وعلمية بالتأويل وحسب أرضيتهم المعرفية المتوفرة[1].

وقد قدّم **مُحَمَّد شحرور** قراءة جديدة للنص القرآني تخرج عن دائرة المألوف الذي تعارف عليه المتعاطون مع هذا النص وتطرح الآراء القديمة وما سلكه المفسرون القدامى جانبا وذلك من خلال **كتابه (الكتاب ;القرآن)** معتمدا فيه على منهج التأويل وآلياته لغرض استنباط الدلالات من النص القرآني، والتأويل عنده يبتعد عن كونه منهجا في النقد الأدبي، ليعود به إلى أصوله الأولى: أي منهجية بحث في النص المقدس، لكن وفق منهجية وأسلوب معاصرين[2].

03- منهج مُحَمَّد شحرور: حدده بما يأتي:

1. مصدر المعرفة الإنسانية هو العالم المادي خارج الذات الإنسانية، فالمعرفة الحقيقية ليست مجرد صور ذهنية بل تقابلها أشياء في الواقع، لأنّ وجود الأشياء خارج الوعي هو عين حقيقتها.

2. الدعوة إلى فلسفة اسلامية معاصرة، تعتمد المعرفة العقلية التي تنطلق من المحسوسات عن طريق الحواس (السمع والبصر)، ورفض جميع المعارف الإشراقية الإلهامية الخاصة بأهل بأهل العرفان أو من يسمون بأهل الكشف أو أهل الله.

3. الكون مادي والعقل الإنساني قادر على إدراكه ومعرفته، ولا توجد حدود يتوقف العقل عندها.

4. بدأت المعرفة الإنسانية بالتفكير المشخص المحدد بحاستي السمع والبصر، وارتفعت ببلوغها التفكير المجرد العام، ومنه فإنّ عَالَمَ الغيب ولكنّه غاب عن إدراكنا حتى الآن لأنّ درجة تطور العلوم لم تبلغ مرحلة تتمكن من معرفته.

5. لا يوجد تناقض بين ما جاء في القرآن الكريم وبين الفلسفة التي هي أم العلوم.

6. مسح عام لخصائص اللسان العربي بالاعتماد على المنهج اللغوي لأبي عليّ الفارسي الذي تمثل بابن جني وعبد القاهر الجرجاني، بالاستناد إلى الشعر الجاهلي.

7. الاطلاع على آخر ما توصلت إليه اللسانيات الحديثة من نتائج مثل انكار الترادف في اللغة.

8. الانطلاق من فرضية أن الكتاب تنزل علينا وأنه جاء لجيلنا، وكأن النبي صلى الله عليه واله وسلم قد توفي حديثا.

9. لا يوجد تناقض بين الوحي والعقل، والوحي والحقيقية.

10. احترام عقل القارئ أكثر من احترام عاطفته.

---

[1] _

[2] _

04- خصائص التأويل عنده:

يمكن رصدها من خلال ما قام بتأويله لبعض الآيات إذ أنه يرى أن التأويل لا يكون إلا للمشابه،لأنّه يحمل صفة (ثبات النص وحركة المحتوى) ومن ثم فإن التأويل يكون فقط لآيات القرآن بحسب تقسيمه الكتب والقرآن، وكذلك أن التأويل حركة تصل إلى نهايتها المعلومة فيما يتعلق بالقوانين المادية، ولكنّه حركة مستمرة في ما يتعلق بالقضايا والمسائل الفلسفية والنظرية والاجتماعية هذا وقد حدد شحرور قواعد وضوابط للتأويل بما يلي:

الأولى: التقيد باللسان العربي من حيث كونه لا يحوي على الترادف في الكلمات واعتماد أن الألفاظ خدم للمعاني، وضرورة معرفة فقه اللغة من حيث أفعال الأضداد في المعاني مثل فعل(عبد) و (خفي) وأفعال الأضداد في المعاني والأصوات مثل: (علق – قلع)، (كتب - تبك) (ضاف – فض).

الثانية : فهم الفرق بين الإنزال والتنزيل، وهذا الفرق من أسس نظرية المعرفة الإنسانية - التي تحدث عنها المؤلف؛ أي فهم العلاقة بين الوجود الموضوعي (التنزيل) والوعي الإنساني لهذا الوجود (الإنزال).

الثالثة: الترتيل وهو أخذ الآيات المتعلقة بالموضوع الواحد وترتيله بعضها وراء بعض أي تنظيمها وتصفيفها على نسق معين، ولا يفهم على أنه التلاوة التنغيم، وهذه تقيد في ترجمة الكتاب إلى لغات غير عربية.

الرابعة: عدم الوقوع في (التعضية)، أي قسمة مالا ينقسم، بمعنى أنّ الأية قد تحمل فكرة متكاملة أو نظرية معرفية فلا يجوز تجزئتها.

الخامسة: فهم أسرار مواقع النجوم، وهي الفواصل بين الآيات، وهي من مفاتيح تأويل القرآن الكريم وفهم آيات الكتاب كله - كما يذكر ذلك شحرور -

السادسة: قاعدة تقاطع المعلومات، وتقتضي هذه القاعدة انتفاء أي تناقض بين آيات الكتاب كله في التعليمات والتشريعات، فمن هذه القاعدة تم فهم الإنزال والتنزيل أذ تم مقارنة ومقاطعة المعلومات الواردة في آيات الإنزال والتنزيل وتم فهم معناها بحيث انطبق على الآيات كلها، وتم فهم الفرق بينهما.

05- خطوات منهجيه في تطبيق قواعد التنزيل عند شحرور:

يرى شحرور أن هذه القواعد يمكن تطبيقها على وفق الخطوات المنهجية الآتية:

1. نعتبر أن الرسول ﷺ قد توفي حديثا، وإن الكتاب قد جاء لنا ولمن بعدنا، انطلاقا من مبدأ أن القرآن الكريم صالح لكل زمان ومكان.

2. صياغة نظرية في المعرفة الإنسانية وهي من اختصاص الفلاسفة وهي من الأمور الأكثر إلحاحا بالنسبة للعرب والمسلمين.

3. فهم الآيات القرآنية المراد تأويلها من قبل العلماء، وكل حسب اختصاصه بحيث تصبح ضمن المعقولات أولا، إذ أن القرآن الكريم قابل لأنّ يدخل ضمن المعقولات.

4. مطابقة ما توصل إليه العلم الموضوعي من انجازات علمية، مع الفهم العقلاني للآيات المراد تأويلها، أي مطابقة المحسوس بالمعقول.

5. بالنسبة للآيات ذات الموضوع التي لم تدخل حيز العلم الحسي نهائيا، يمكن تأويلها بوضع نظرية تبقى في عالم المعقول مرحليا وتنتقل مع الزمن إلى عالم المحسوس.

6. تؤول آيات الساعة والصور والبعث واليوم الآخر والجنة والنار بحيث تدخل ضمن عالم المعقولات.

7. التأويل الذي يقدم للنص القرآني قابل للتطوير أو النقص على مر السنين لأن تأويلات عصرنا تقوم على أساس نسبية معرفتنا للحقيقة.

8. علينا أن نسحب القرآن الكريم قبل أن يفوت الأوان من أيدي السادة الوعاظ والعلماء (المعروفين بالأفاضل)، أو رجل الدين، لان دورهم دور وعظي بحت وموقفهم من القرآن الكريم موقف تسليم كالعامة[1].

6- رؤى مُحَمَّد شحرور: لإكمال الرؤية المنهجية لدى مُحَمَّد شحرور يجب إيراد بعض الرؤى التي كانت حاضرة عنده ودان بالفضل فيها للدكتور جعفر دك الباب الذي اقتسم معه منهج الكتاب، حيث ذكر الدكتور جعفر دك الباب إن المؤلف تبنّى المنهج التاريخي العلمي المستنبط من منهج أبي علي الفارسي الذي تبناه ابن جني في الخصائص وعبد القاهر الجرجاني في الدلائل والقائم على[2]:

1. الانطلاق من وصف البنية اللغوية وصفا تطوريا ودراسة الأصوات وأنوع الاشتقاق.

2. الاهتمام باكتشاف القوانين العامة للنظام اللغوي مؤكدة على أن اللغة لم تنشأ في وقت واحد مع المحافظة على اتساق نظامها.

3. البحث في القوانين الصوتية العامة المنبثقة عن الخصائص الفيزيولوجية للإنسان.

4. الاهتمام بالنظام اللغوي وتأكيد ربط اللغة بالتفكير ثم عرض بعد ذلك الأسس التاريخية المعتمدة لدى المؤلف وهي:

أ- التلازم بين النطق والتفكير ووظيفة الإبلاغ منذ بداية نشأة الكلام الإنساني.

ب- تدرج التفكير الإنساني في اكتماله وتطوره من المشخص المحسوس إلى المجرد[3].

---

1 _

2 _

3 _

ج- إنكار الترادف.

د- النظام اللغوي يؤلف كلا واحدا، وتشكل مستويات البنية اللغوية فيه علاقة تأثير متبادل فيما بينها.

هـ- الاهتمام بالعام المطرد دون إهمال الاستثناءات.

07- نماذج تطبيقية لأبرز ملامح قراءة الجديدة للنص القرآني عند مُحَمَّد شحرور:

سنرى الآن من خلال هذه النماذج مدى تطبيق مُحَمَّد شحرور منهج التأويل الذي شرحه ووضع له القواعد والضوابط، وهل أنّ وعورة المنهجية التي تقدم بها يمكن لها أن تخرج لنا قراءة جديدة معاصرة مرجوة تغني القارئ وتفتح له أبوبا كان بأمسّ الحاجة لفتحها، والوصول إلى مقاصد القرآن وغاياته بصورة صحيحة وسليمة وفق معطيات العصر ومتطلباته هذا ما يمكن أن نراه من خلال الآتي :

- خصائص اللغة العربية وهي دعامة من دعائم منهج الكتاب التي اعتمدها وترصد هذه الخصائص من خلال جوانبها المتمثلة بالجانب النحوي والصرفي والمعجمي وهذه الفقرة هي التي تعنينا في هذا البحث أكثر من غيرها، فنرى أن المؤلف قد ارتكب خطأ في فهمه لبعض وظائف الحروف في اللغة العربية[1]:

نموذج 1:

الحرف (و) فهو يراه لا يخرج عن كونه حرف عطف أينما جاء وكيفما حلّ، وهو كما معلوم يفيد أكثر من وظيفة فمرة للعطف وأخرى للاستئناف وثالثة للمعية وغير ذلك من الوظائف.

ففي قوله تعالى: {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [البقرة: 185]، يثبت فيها أن الفرقان هو غير القرآن لأن الفرقان جاء معطوفا على القرآن، والصحيح أن كلمة الفرقان لم تكن معطوفة على القرآن أصلا، لأنّها مجرورة بالكسرة لعطفها على الهدى، وكلمة القرآن جاءت مرفوعة بالضمة كونها نائب فاعل، ومن المعلوم أن المعطوف يكون تابعا للمعطوف عليه في الحكم الإعرابي "ثم إن واو العطف أصلا لا تختص بعطف المتغيرات والمتباينات، وليس وجوب أن يكون المعطوف شيئا غير المعطوف عليه أو مخالفا له، فالأصل أنّ واو العطف تفيد مطلق الجمع"[2].

نموذج 2:

ومن تأويلاته البعيدة عن خصائص اللغة التي يقول أنّه اعتمدها في قراءته قوله في معنى (البركة) فيقرر أن: "البركة في اللسان العربي تعني التكاثر والتوالد وتعني الثبات ...ووصف الكتاب بأنه (مبارك) يعني (ثابت النص) وبمعنى

[1] _

[2] _

الثبات جاء قوله: {إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ } [الأعراف: 54]، أي ثبت ولم يتغير[1].

فهذا الكلام غير صحيح من الناحية اللغوية، فالبركة في المعجمات اللغوية تعني النماء والزيادة والكثرة في الخير، وهذا ما يراه ابن فارس في معجمه (مقاييس اللغة) الذي ادعى المؤلف أنّه اعتمده بشكل أساس، وأمّا معنى الثبات فهو من الفعل برك يبرك بروكا وهو ما يستعمل مع الجمل أي (استناخ) وأقره كذلك صاحب المقاييس و (تبارك الله) معناها في اللغة: تقدس وتنزه وتطهر، وتؤكد ذلك جميع المعجمات أما القول بأن (تبارك الله)، معناها أثبت ولم يتغير: فهذا لا أساس له من الصحة في اللغة العربية ولم يقل به أحد سوى الدكتور مُحَمَّد شحرور فكان حريا به أن لا ينسبه إلى اللسان العربي أمّا كلمة (مبارك) فلا تعني ثبات النص كما زعم، فهي اسم مفعول من الفعل (بارك)، وبارك الله الشيء: أي وضع فيه البركه، فالمعنى الذي يحمله (بارك) مستقل تماما عن معنى (برك)، لأن الألف المزيدة في الأول، أفادت الإغناء عن المجرد، أي أكسبت الفعل معنى جديدا لا علاقة له بالفعل المجرد الأصلي[2].

وممّا تقدّم ذكره يمكننا القول أنّ هذا التأويل البعيد، وإدخال معاني غريبة على مفردة قد استقر معناها والتعسف في التعامل مع الألفاظ جعل بعض الباحثين يشن حملة قوية على الدكتور شحرور واصفا إياه بجهله المطبق في اللغة العربية ومن هؤلاء الدكتور يوسف صيداوي حيث يقول في مقدمة كتابه الذي رد فيه على القراءة المعاصرة في كتاب سماه (بيضة الديك) مبينا أن سبب هذه التسمية هو أنه لم يجد لدى مؤلف كتاب (الكتاب والقرآن) صوابا لغويا غير قوله (الكتاب من كتب) فلما تخطاه لم يهتد في الكتاب إلى صواب، فتذكر – إذ ذاك – ما تواتر من أقوال الناس، وهو أن الدّيك إذا باض، فبيضة واحدة في حياته[3]، كما تذكر ما قاله بشار:

قد زرتنا مرة في الدهر واحدة --- عودي ولا تجعلي بيضة الديك[4]

وهذا ما نراه أيضا مخالفا لميزان ضوابط الشرع وأصوله والتي تتمثل هنا أساسا في أصل مراعاة اللغة العربية ومعهود العرب في خطابها، وهو بذلك خرج بتفسيره عن أصول التفسير وضوابطه وميزان الشرع فيه.

نموذج 3:

ومن قبيل هذه الأخطاء اللغوية ما بناه من نظرية في الفقه الإسلامي مستندة إلى رؤيته في (الحنيفية) إذ يرى أن الحنيفية نقيض الاستقامة حيث يقول: "هذه الخاصية – أي صلاحية الرسالة لكل زمان ومكان– لا يمكن أن

_ 1

_ 2

_ 3

_ 4

نفهمها إلا إذا فهمنا صفتين أساسيتين متميزتين من صفات الدين الإسلامي بشكل عام، وهما من المتناقضات، حيث أن الحركة الجدلية بينهما هي حركة تناقضية تفرزها التناقضات الداخلية للحياة الإنسانية في مجال المعرفة، وعلوم الاجتماع، والاقتصاد والتي ينتج عنها دائما مجالات جديدة في التشريع كماً نوعاً، وهذان النقيضان هما: الاستقامة والحنيفية، حيث يكمن فيهما جدل التشريع، وبالتالي تطوره، وبدونهما يستحيل فهم الدين الإسلامي فهما معاصرا، والاقتناع بصلاحيته لكل زمان ومكان"[1]، ويرتكز شحرور إلى مفاهيم اللغة العربية في فهمه لكلمة (حنيف) بمعنى التغير فهو يقول:" أشتق (الحنيف) من (حنف) وتعني في اللسان العربي الميل والانحراف، ويقال للذي يمشي على ظهور قدميه (أحنف) والحنف اعوجاج في الرجل إلى الداخل"[2]، وهو يجعل (الاستقامة) و(الحنيفية) صفتين للدين وردتا في آية واحدة: { قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِين} [الأنعام: 161]، ثم يعلق على ذلك بقوله: "هنا نلاحظ أن عزم الدين وسيطرته تأتي بهاتين الصفتين معا الاستقامة والحنيفية، حيث جاءتا معا في آية واحدة، وإن قوّة الدين الإسلامي تكمن في استقامته وحنيفيته معا"[3] والحقيقة أن فهم المؤلف لهذه المفردة لم يكن مطابقا للصواب لا بل مجانبا له، وبالرجوع لبعض المعاجم تبدوا هذه المغالطة واضحة:

ففي معجم (القاموس المحيط) للفيروز أبادي عكس ذلك إذ يقول: "الحنف :محرّكه: الاستقامة، والاعوجاج في الرجل، أو أن يُقبل إحدى إبهامي رجليه على الأخرى، أو أن يمشي على ظهر قدميه من شق الخِنصر أو ميل في صدر القدم"[4].

أما الأصفهاني فيقول: "الحنف :هو الميل عن الضلال إلى الاستقامة ...والحنيف هو المائل إلى ذلك ..والأحنف: من في رجله ميل، قيل :سمي بذلك على التفاؤل، وقيل :بل استعير للميل المجرد"[5].

أما ابن منظور في لسانه فيقول: "الحنف في القدمين: إقبال كل واحدة منهما على الأخرى بإبهامها ...الأحنف هو الذي يمشي على ظهر قدمه من شقها الذي يأتي خنصيرها ...وحنف عن الشيء وتحنّف :مال والحنيف: المسلم الذي يتحنف عن الأديان، أي يميل إلى الحق ...قال ابن عرفه :الحنف الاستقامة ...قال ابن منظور: معنى الحنيفية في الإسلام الميل إليه والإقامة على عقده"[6]، إذن من خلال ما ورد في أمات المعاجم والقواميس اللغوية وحتى معجم مقاييس اللغة لابن فارس الذي اعتمده مُحَمَّد شحرور كما يقول لم تذكر الحنف والاستقامة بوصفهما لفظتين

_ 1
_ 2
_ 3
_ 4
_ 5
_ 6

متضادتين، بل على العكس تماما، عدا لفظتين متتامتين، يتم أحدهما الآخر، ويبدو أنّ المؤلف ومن خلال ما ذكر في المعاجم في معنى (حنف) بـ (الميل ولكن على طريقه واستقامة واحدة) قد أشكل عليه الفهم وعدَّ الاستقامة والحنيفية من المتناقضات.

ومن القضايا الأساسية أيضا التي عالجتها هذه القراءة مسألة عنوان الكتاب (الكتاب والقرآن) حيث يرى أن الكتاب غير القرآن وأن القرآن جزء من الكتاب وليس كل الكتاب فالعلاقة بين الكتاب والقرآن عموم وخصوص، لأنّ القرآن – كما يدعي المؤلف – يتضمن الآيات التي تعطي نظرية الوجود الكوني والإنساني وتفسير التاريخ، وهي علوم وليست أحكاما، لذا كان القرآن كتاب النبوة، لا الرسالة، لأن النبوة علوم والرسالة أحكام .

أما الآيات التي تحتوي على قواعد السلوك الإنساني (الحلال والحرام) أي العبادات والمعاملات والأخلاق، فهي من الرسالة وليس من القرآن، لأن القرآن من شؤون النبوة في حين الرسالة من شؤون الرسول، ويعطي بعد ذلك مخططا توضيحيا ليبين العلاقة بين الكتاب والقرآن من جهة، وبين النبوة والرسالة من جهة أخرى :

الكتاب = النبوة (معلومات) + الرسالة (أحكام)

النبوة = العلوم = آيات متشابهات + آيات لا محكمات ولا متشابهات.

الرسالة = الأحكام = آيات محكمات (أم الكتاب)

ثم أن الدكتور شحرور لم يكتف بهذا التقسيم حتى أتبعه بقوله إن (الراسخين في العلم) الذين يعلمون تأويل القرآن هم علماء الطبيعة والفيزياء والكيمياء والفلك وأصل الأنواع أمثال دارون ونيوتن وانشتاين وغيرهم وليس علماء الدين والفقهاء لأنّهم أهل (أم الكتاب) الرسالة ولا علاقة لهم بالقرآن لا من قريب ولا من بعيد ![1]

نموذج 4:

من التأويلات الجديدة استخدامه لبعض النظريات الانتروبولوجية ولاسيما نظرية النشوء والارتقاء لداروين حيث حاول جاهد إسقاط هذه النظرية على تأويلاته لبعض آيات القرآن وادعاءه أن هذه النظرية هي العمود الفقري لفهم آياته وهي قانون التأويل بحد ذاته إذ يقول: "برهنا في كتابنا هذا بأنها هي العمود الفقري لأطروحات القرآن في الخلق والوجود والساعة والبعث واليوم والآخر"[2].

واستخدامه للمنطق الرياضي في تفسيره وبناء نظرية فقهية تقوم عليها الحدود التشريعية للأحكام التي وردت في الكتاب في المصحف[3].

_ 1

_ 2

_ 3

وممّا تقدم ذكره يمكن لنا أنّ نجمل بعض الإشكاليات التي وقع فيها الدكتور شحرور:

1. تفسيره لبعض الكلمات بغير معناها ممّا يعطي انطباعا عن عدم قدرته على فهم المعاجم الصحيحة وحتى التي اعتمدها في منهجه كمعجم المقاييس لابن فارس.

2. الخصائص اللغوية التي يقول عنها عماده في منهجه نراه قد حطمها ولم يتمثل إليها.

3. خالف كذلك نظرية عبد القاهر الجرجاني من خلال اقتطاع المفردة من سياقها وتجريدها من معناها السياقي كما فعل ذلك عند تفسيره لكثير من الآيات.

4. اختفاء صفة العلمية والموضوعية من خلال إيجاد افتراضات ونظريات نابعة من توجه وهوى المؤلف.

5. إكراه بعض الآيات القرآنية وليّها من أجل الخضوع لرؤى أخرى[1].

_ [1]